

العصور الوسطى | Moyen Âge

سالي كريستال

قيّمة المعرض: ميتال كاتس-مينيرفو

في العصور الوسطى | Moyen Âge تبتكر الفنانة سالي كريستال مُنشأً فنياً متعدّد المجالات يدمج بين النحت الخزفي والتطريز الحر، ويصل بين أساطير قديمة وسرديات معاصرة.

يحيك المعرض حواراً بين الماضي والحاضر ليكون منصّةً للتعامل الشخصي مع قضايا مركّبة تعكس تجربة الوجود في السياق المحلي. عنوان المعرض، العصور الوسطى، هو محاكاة ساخرة لعبارة *Moyen Âge* بالفرنسية – لغة الأم للفنانة – التي تُطلق على فترة امتدّت لأكثر من ألف عام في تاريخ الغرب، بين سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية ووصول كولومبوس إلى سواحل أميركا. في أيامنا هذه، يثير تسارع الأحداث الجنوني، الذي يتزايد باستمرار، شعوراً بأن ألف سنة تنضغط في أسبوع واحد، ما يفاقم عجزنا عن استيعاب التحوّلات التاريخية في وقتها الأنّي. لكن، وعلى نحو غريب، فإن هذا التسارع يولّد أيضاً زمناً وسطياً بين الأحداث، يتحوّل فيه الانتظار والترقب إلى لحظة بحدّ ذاتها، في مواجهة المجهول. من خلال التلاعب بالكلمات "العصور الوسطى"، تضع سالي كريستال معرضها في فضاء بيني: بين حاضر فوضوي وماضٍ ما قبل حدائثي، غريب وكرنفالي، حيث العالي يصبح وضيعاً والحمار يُنوّج ملكاً.

تتقضي هذه المرحلة الانتقالية الوسطية لدى كريستال عبر بناء دُوب لمشهد حضري بديل، مضغوط في عدد محدود من العناصر المشبعة بدلالات مشفّرة. في فضاء المعرض تنتصب نافورة على هيئة رأس حمار، يتدفّق منها خلّ النبيذ. هذا المجسم الهجين والغامض يملأ القاعة بأصوات خرير ورائحة نقاذة للخلّ، ليصنع تجربة حسّية طاغية. في الشيفرة الثقافية، تحاكي النافورة شارع أوروبي قديم، لكنها داخل التركيب تؤدي وظيفة ساحة (piazza) تربط بين الأعمال. إلى جانبها، تمتدّ على الجدار تطريزة دانتييل ترسم خريطة مدينة لوتيتيا (Lutetia) – الاسم الروماني القديم لباريس. في هذه الخريطة الضخمة، يتحوّل الفضاء العمراني إلى نسيج دينامي، حيث تتشكّل أشكال البيوت والأرقة من كثافة الخيوط. مقابلها، على الجهة الأخرى من الفضاء، معلّقة قطعة دانتييل منفّذة بنفس تقنية التطريز الحر، لكنها تطفو منفصلة عن الجدار، مستندة إلى رسم تشريحي لتجويف العين. استخدام الدانتييل كوسيط للتصوير التشريحي يضيف على المعرفة العلمية-الفيسيولوجية غلظاً من الرهافة والروحانية، ويستحضر صورة "عين العناية الإلهية" المرتبطة في الثقافة الشعبية بجامعة الإيلوميناتي، وهي تراقب وتتابع ما يجري في الزقاق. غير أنّ هذا الزقاق في المعرض مسدود، خانق ويفوح بروائح منقّرة، ليعكس حالة ذهنية من الإحباط أمام واقع مغلق، صلب وغريب.

الظل والحقيقة الهامشية

يحظى الظل في المعرض بمكانة مهمّة ويتجلّى في صور مختلفة وبخامات متنوّعة، فيضاعف الأجسام داخل الفضاء ويساهم في الإحساس بالمكان الذي تصنعه. لكل جسم – من خريطة الدانتييل الرقيقة إلى النافورة الضخمة – ظلّ مميز خاص به. أحياناً يظهر الظل كقصاصة سوداء مسطّحة بلا تفاصيل، بحضور هامشي، كأنه شبح. وفي لحظة أخرى ينكشف كظلّ مشوّه ومصطنع، مثل الظلّ المرتبك لنافورة رأس الحمار، المخيط من ورق برشمان والمبّع بالخلّ المتدفّق منها. مظهر آخر للظل في المعرض هو الظلّ الراقص الذي تلقّيه دانتييل تجويف العين. على عكس الظلال الساكنة لباقي الأجسام في المعرض، ظلّ الإيلوميناتي يربك التركيز. ازدواجية الأجسام وظلالها تصيف طبقة أخرى من المعنى، إذ تذكر بالمثل القديم "جدال على ظلّ حمار"، الذي يشير إلى كيف يمكن أن ينصرف انتباهنا أحياناً من الجوهر إلى الانعكاس، من الواقع إلى المتخيّل، ومن الأساس إلى الهامش. النافورة هي الجسد، المصدر، الحقيقة؛ أمّا الظلّ فهو الصراع على ما هو ليس إلا أثر، أصداء.

في معرض يعجّ بالأشكال وظلالها – بين الشيء نفسه وبين ظلّ فارغ قد يشبه الشكل الأصلي لكنه يسمح بإسقاط معانٍ ودلالات مختلفة – تعرض سالي كريستال مرآة قريبة وبعيدة في الوقت نفسه لواقع يتفكك، على عتبة نهاية حقبة وبداية عصر جديد.

شكر خاص لرومي أن كرنبرغ على مساعدتها في العمل.

شكر خاص لرومي أن كرنبرغ.